الآداب العربيَّة في القرن التاسع عشر

بحث تاريخي وانتقادي للاب لويس شيخو اليسوعيّ (تابع)

﴿ أدباء المسلمين في العراق ﴾ تذكّر العراق في اواسط القرن التاسع عشر مفاخرهُ السابقة فاراد أن يحييها فنزل في حلبة الآداب وركض فيها جياد الالباب فنال قصبة السبق والغلاب . وها نحن نذكر الذين وقفنا على شيء من اخبارهم نقلًا عن مخطوطات مكتبتنا الشرقية وبعض المطبوعات النادرة مباشرةً بالالوسيين والسويديين

﴿ الالوسيُّون ﴾ هم قوم من فضلاء بغداد احبُّوا العلوم والاداب فاوقفوا نفوسهم لخدمتها ونشروا معالمها في وطنهم . واصلهم من ألوس احدى قرى الفرات ثمَّ انتقلوا الى بغداد وامتازوا فيها بحسن الخصال . ولما كانت اواسط القرن التاسع عشر برزَ بينهم أولاد السيد صلاح الدين ابن السيد عبدالله الالوسي . وكانوا ثلاثة رضعوا كلهم افاويق الأدب وذهبوا في فنونهِ كل مذهب

وارأسهم ابو الثناء شهاب الدين السيّد محمود افندي المعروف بالشهاب الألوسي . ولد في بغداد في ١٤ شعبان سنة ١٢١٧ (١٨٠٢ م) وهناك توفي في ٥ من ذي القعدة سنة ١٢٧٠ (١٨٥٤م) كلف بالعلوم منذ حداثة سنهِ وبذل النفس والنفيس في احراز جواهرها حتى انَّ رغبتهُ في طلب المعارف شغلتهُ عن حطام الدنيا وأنستهُ هناء العيش وملاذَّ الحياة وبرزَ بالعلوم الدينية فصار اماماً في التفسير والافتاء . وكان مع ذلك كاتباً بليغاً وخطيباً مصقعاً وفي سنة ١٢٦٢ (١٨٤٥) سافر برفقة عبدي باشا المشير الى الموصل ثم الى ماردين فديار بكر فارزروم فسيواس فالاستانة العليَّة واجتمع حيثما دخل بأعلام العلماء وائمة الادباء . وكانوا يتهافتون اليهِ ليقتبسوا من انوارهِ ويغترفوا من بحارهِ . ثمَّ عاد الى وطنهِ معزَّزاً ممدَّحاً بكل لسان مشمولًا بألطاف الحضرة العليَّة السلطانيَّة . وكان جلالة السلطان عبد المجيد منحهُ الوسام المرصع العالي الشأن . فلما عاد الى وطنهِ سنة ١٢٦٩ انقطع الى التأليف . وفصَّل اخبار رحلتهِ في عدَّة مصنَّفات منها كتابهُ رحلة الشمول في الذهاب الى اسلامبول طُبع في بغداد سنة ١٢٩١ واتبعهُ بكتاب نشوة المدام في العود الى بلاد السلام ثمَّ كتاب غرائب الاغتراب في الذهاب والاقامة والاياب ويُدعى ايضاً بنزهة الالباب ضمَّنهُ تراجم الرجال والابحاث العلمية التي جرت بينهُ وبين حضرة السيد

احمد عارف حكمت بك شيخ الاسلام. وكان السيد محمود سريع الخاطر ونسيج وحده في قوة التحرير وسهولة الكتابة ومسارعة القلم قيل انهُ كان لا يقصر تأليفهُ في اليوم والليلة عن اقلّ من ورقتين كبيرتين. وقد ألف كتباً عديدة في التفسير والفقه والمنطق والادب واللغة كشرح السلّم في المنطق. وكتاب كشف الطرّة عن الغرّة وهو شرح على درّة الغوّاص للحريري. ومن تآليفهِ رسالة في الانسان. ولهُ حاشية على شرح قطر الندى لابن هشام ألفها وعمرهُ لا يتجاوز ثلاث عشرة سنة. وكتاب المقامات طبعهُ في كربلاء. وكتاب التبيان في مسائل ايران وكتب اخرى غيرها. وكان لهُ شعر قليل الّا انهُ غاية في الرقّة كقولهِ يذكر العراق في غربتهِ:

اهيمُ بآثار العراقِ وذكرهِ ... وتندو عيوني من مسرّاها عبرَى
والثمُ اخفافاً وطنّ ترابهُ ... واكحل اجفاناً بتربتهِ النَطرَى
واسهرُ ارعى في الدياجي كواكباً ... غرٌّ اذا سارت على ساكني الزورا
وأنشقُ ريح الشرق عند هبوجها ... أداري بها ما بيَ من لهجتيَ الحرّا

وقال في وصف بغداد وفراقهِ لها:

ارضٌ اذا مرّت بها ريحُ الصبا ... حملت من الارجاء مسكاً أذفرا
لا تسمعنَّ حديث ارضٍ بعدها ... يُروى فكل الصيد في جوف الفرا
فارقتُها لا عن رضىً وهجرتُها ... لا عن قلىً ورحلتُ لا متخيرا
لكنَّها خانت عليَّ برحبها ... لما رأيتُ بها الزمان تنكرّا

ومن حسن قولهِ وصفهُ لشاعر سهل الالفاظ بعيد المعاني:

تتحيَّرُ الشعراء ان سمعوا بهِ ... في حسن صنعتهِ وفي تأليفهِ
فكأنَّهُ في قربهِ من فهمهم ... ونكولهم في العجز عن توصيفهِ
شجرٌ بدا للعين حسنُ نباتهِ ... ونأى عن الايدي جنى مقطوفهِ

وقال مستغفراً وقد افتتح بهِ كتاب مقاماتهِ:

انا مذنبٌ انا مجرمٌ انا خاطي ... هو غافرٌ هو راحمٌ هو عافي
قابلتهنَّ ثلاثةٌ بثلاثةٍ ... وستابنَ اوصافهُ اوصافي

وكانت وفاة الشهاب الالوسي في السنة التي ذكرناها فرثاهُ قوم من الفضلاء كما مدحوهُ في حياتهِ وقد جُمعت تلك المدائح في كتاب حديقة الورود في مدائح ابي الثناء شهاب الدين محمود. وكان اولادهُ اغصاناً نضرة لتلك الدوحة الباسقة سنذكرهم في ترجمتهم. واشتهر في زمانهِ اخواهُ عبد الرحمان وعبد الحميد فعُرف عبد الرحمان بفصاحة

لسانه وخلابة اقواله في الخطابة والوعظ وكان يدرّس العلوم الدينيّة في اكبر جوامع الكرخ الى وفاته سنة ١٦٨٤ (١٨٦٧) وعمره نحو ثلث وستين سنة

امّا عبد الحمد الالوسيّ فكان مكفوف البصر ولم تصدّه تلك العاهة عن طلب العلوم فاخذها عن اخيه السيّد محمود الذي اجازه في المعقول منها والمنقول والفروع والاصول فجعل يدرّس في مدرسة بغداد المعروفة بالنجيبيّة ويتقاطر لاستماعه الناس حتى علية القوم وفي مقدّمتهم عليّ رضا باشا والي بغداد وله بعض مصنّفات تنزّيه بليغة وقصائد غرّاء منها قصيدة في مدح احد مشايخه العظام اوّلها :

تنوح حمامات اللوى وانوح ... وأكتم سرّي في الهوى وتبوح
وتُعجم ان رامت أداء مرامها ... ولي منطق فيما اروم فصيح
لها مقلة عند التداني قريرة ... ولي مدمع يوم الفراق سفوح

الى ان قال مادحاً :

فتى كفّه عفوٌ ولطفٌ وعفّة ... وعن زلّة الشاني الحسود صفوح
حليمٌ وهل كالحلم في المرء زينة ... سموحٌ وذو الشان الجليل سموح
وفارس فضل لا يجاريه عارف ... وأنّى يجاري السابقات جموح
يفوح بأنواء الندى نشر فضله ... كما فاح نشراً في الخمائر شيح
لقد عطّر الارجاء منك فضائل ... فوصفك مسكٌ في الانام يفوح

ومن نثره قوله يصف الاولياء :

لقد فاز قومٌ عاملوا الله بالاخلاص والصدق ، وعاملوا الناس بخفض الجناح ورفع الجُناح وحفظ الوداد مع اللين والرفق ، تحمّلوا من اجلهِ ألم الاذى والمشاقّ ، فأزالوا بأنوار شهود جماله عن بصائرهم حجب العوائق الانسانيّة ، وتحمّلوا اذا اذاقهم الورى مرّ المراء والشقاق ، فاماط بعذوبة انسه ووصاله عن رقائم وَبق العلائق النفسانيّة ، أعرضوا عن الدنيا وأفرضوا في طلب الأخرى حيث علموا بأنّ الأولى والأخرى السعيُ في تقديم الباقية على الفانية . فأنملوا الاجسام بالصيام والقيام ، لمّا أن حلا لهم شرب صافي المدام . . . فرضوا على نفوسهم القناعة والصبر ، ورضُوا عن هذه الدنيا بالقليل الغرر . وراضوا زكيّ انفسهم عن اقتنى جواهرها واعراضها ، ترفّعوا عن الشكوى وتمسكوا بعُرى التقوى ، لانّها الركن الاوفى والسبب الاقوى ، فتنجابت عن قلوبهم غمائم آلامها وامراضها . . .

وكانت ولادة السيّد عبد الحمد سنة ١٢٣٢ (١٨١٧) وطالت حياته ولم تقف على سنة وفاته

(السويديون) هم من أسرة فاضلة اصلها من سرّ من رأى او سامرّا فانتقلوا الى بغداد وعُرفوا بين اكابر علمائها . منهم الشيخ ابو البركات عبد الله السويديّ صاحب

المؤلفات الادبية العديدة كشرح دلائل الخيرات وكتاب مقامات بليغة والامثال السائرة والرحلة المكيّة توفي سنة ١١٧٠ (١٧٥٦ م). ومنهم الشيخ ابو الخير عبد الرحمن زين الدين البغداديّ السويدي ابن ابي البركات كان ذا باع طويل في العلوم الدينيـة واللسانيّة. ولد سنة ١١٣٤ وتوفي سنـة ١٢٠٠ (١٧٢٢ — ١٧٨٦ م) فارّخهُ اخوهُ الشيخ احمد السويدي بقولهِ من ابيات:

وفارقنـا فردًا فقلتُ مؤرخًا ابو الخير في ازكى الجنان نزيلُ

وكان الشيخ احمد المذكور اماماً في التصوُّف وقد ردّ على المُلحدين بكتاب سمّاه الصاعقة المحرقة في الردّ على اهل الزندقة. توفي سنة ١٢١٠ وكان مولدهُ سنـة ١١٥٣ (١٧٤٠ — ١٧٩٥)

ومن السويديين الشيخ عليّ ابن الشيخ محمد سعيد السويدي المتوفى سنة ١٢٣٧ (١٨٢٢ م) لهُ كتاب في تاريخ بغداد قد رثاهُ شاعر بابيات ختمها بهذا التاريخ:

مذ وُسّد اللحدَ نادانا مؤرخهُ انَّ المدارس تبكي عند فقـد علي

ومنهم ايضاً الشيخ ابو الفوز محمّد امين السويدي احد كبار الكتبـة في بغداد لهُ مؤلفات جليلة في عدّة فنون منها كتاب سبائك الذهب في معرفة انساب العرب الذي نُشر بالطبع وقد مرَّ لنا وصفهُ (المشرق ١٠: ٥٦٦) وكتاب الجواهر واليواقيت في معرفة القبلة والمواقيت. وكتـاب ردّ على الرافضة. ورسالة في الواجب والممكن. ولهُ شرح تاريخ ابن كمال باشا مع نظم لطيف. كانت وفاتهُ سنة ١٢٤٦ (١٨٣٠). واشتهر من السويديين في العهد الذي وصلنا اليهِ الملا نعمان السويدي ابن الشيخ محمّد سعيد ابن احمد وهو خاتمة السويديين توفي في رجب سنـة ١٢٧٩ (١٨٦٣)

واشتهر بالاداب العربيّة في بغداد والعراق غير الالوسيين والسويديين في اواسط القرن التاسع عشر بعض الائمّـة. وها نحن نذكر منهم الذين ابقوا آثارًا من علمهم طبعاً او خطًّا على ترتيب سني وفاتهم

(البيتوشي) هو ابو محمّد عبد الله بن محمّد الكردي البيتوشي من كبـار ادباء بلادهِ. ولد في بيتوش من قرى العراق سنـة ١١٦١ (١٧٤٨) وجدَّ في طلب العلم ثمَّ قدم بغداد طلباً للمعاش وارتحل منها الى بلدة الأحسـاء فابتسم لهُ الدهر وحسنت حاله واشتهر صيتهُ وانقطع الى التأليف في الصرف والنحو ونظم كتاب كفاية المعاني وشرحهُ

وذيّل شرح الناكهي على قطر الندى لابن هشام . ولهُ نظم حسن منهُ قولهُ متشوقاً الى وطنهِ :

ألا حيِّ بيتوشاً واكنافَها التي ... يكاد يروّي الصاديات سرابُها
بلادٌ بها حلَّ الشبابُ تعانقي ... واوّل ارضٍ مسَّ جلدي ترابُها
لقد كان لي منها عرينٌ وكان من ... مغانيَ لها سُحبٌ تَكُبُّ رِبابُها
ولم تَنْبُ لي إنْ يَنْبُ يوماً باهلهِ ... مكانٌ ولم يضقْ عليَّ غرابُها

توفي البيتوشي سنة ١٢١٣ (١٧٩٨) . وكان الاحقّ بنا ان نذكرهُ في الابواب السابقة فاثبتنا لخبارهُ هنا مع بقيّة افاضل العراق وكذا فعلنا بالشيخين الوارد ذكرهما

(الشيخ عثمان بن سند البصري الوائلي) اصلهُ من النجد فسكن البصرة وكان يتردَّد كثيراً الى بغداد واشتغل بفنون لسان العرب وكان لهُ في اللغة باع طويل والف عدَّة تآليف مفيدة منها كتاب في تاريخ بغداد ارَّخ فيهِ ما وقع في زمانهِ من الوقائع وسمّاهُ مطالع السعود بطيب اخبار الوالي داود وقد طبع مختصرهُ في بمبي سنة ١٣٠٤ . ومن تآليفهِ منظومة في علم الحساب ونظم قواعد الاعراب والازهريّة ومغني اللبيب . ولهُ رسائل ادبيّة كناكهة المسامرة وقرّة الناظر . ونسمات السحر وروضة الفكر . وكانت لهُ شهرة عظيمة في البصرة ونواحيها يُقبل كلامهُ لدى جميع اهاليها . توفي سنة ١٢٥٠ (١٨٣٤)

(الشيخ علاء الدين الموصلي) هو علاء الدين علي افندي الموصلي واحد شيوخ شهاب الدين الوسي زاده . ذكرهُ في كتابهِ نزهة الالباب في غرائب الاغتراب واثنى على آثارهِ الادبيّة لكنهُ ذمَّ اخلاقهُ وضيق صدرهِ وجهلهُ بمداراة الناس قال :

كان لا يدري مداراة الورى ... ومداراةُ الورى امرٌ مهمّ

وروى لهُ شعراً حسناً منهُ :

لئن لم تشاهدني أخافشُ أعينٍ ... فلي من عيون الفضل شاهد رؤيةِ
وان انكرتني الحاسدون تجاهلاً ... كفاني عرفاني بقدري وقيمتي
فاين لشمس الاستواء من السها ... واين زلالٌ من سراب بقيعةِ
وليس الذي في الناس كالحي ميتٌ ... لفضلٍ وافضالٍ فحيٌّ كميتِ

وقوله :

وزمانٍ عدتْ على لياليهِ ... وقصتني قوادمي وجناحي

ودعتني صروفهُ في شتـات وعناد وخيبـة وتراحِ
لا لذنبٍ اتيتُهُ غير انَّ الـفضل لم نافَهُ قرين نجاحِ
واذا ما الصلاحُ فيكم فسادٌ ففسادي الذي لديكم صلاحي

وكانت وفاتهُ بالطاعون سنة ١٢٤٣ (١٨٢٧م) وانشد قبل وفاته :

اسفي على فصلٍ قضيتُ ولم أكن ابصرتُ عارفَ حقهِ فيبينُ
ومن العلوم الناهضاتِ ورمزها أملي قضيتُ وللفنون ديونُ
واخذت في كفني علوماً لم اجدْ مستودعاً هي في الدفين دفينُ

(عبد الحمد الموصلي) هو عبد الحمد ابن الشيخ جواد الموصليّ الشهير بابن الصائغ احد شعراء العراق الذين شرّفوا تلك الاصقاع بآدابهم وشعرهُ رقيق لكنهُ مفرّق لم يُجمع في ديوان . فمن قولهِ ابيات كتبها الى الشاعر بطرس كرامة والتزم في كل صدورها واعجازها تاريخاً للسنة المسيحية ١٨٤٤ الّا المصراع الاخير فجعلهُ تاريخاً هجريّاً هذا مطلعهُ :

بعثنا اليكم بنت رمزٍ من الفكرِ دعاها جوىً أعطتْ بهِ خالصَ الشعرِ
أمنتم صروع الدهر من قيد حادثٍ شهدتم هلال الافق من كامل الشهرِ
ميامن ترعى بطرساً في كرامة الى غاية الدنيا الى اوحد الدهرِ
هديتم بنور الربّ باباً فأرّخوا هو الله لا ما زلّ من مشرق الفجرِ

فاجابهُ بطرس كرامة برسالة طويلة نظماً ونثراً افتتحها بقولهِ :

مشتكمْ من قبل لقياكمُ وكلُّ مشوقٍ بما يوصفُ
كالشمس لا تدركها مقلةٌ لكنّها من نورها تُعرفُ

وقال الشيخ عبد الحمد يمدح الشيخ ناصيف اليازجيّ من قصيدةٍ :

كيش الكتائب والكتاب وانهُ بالنحر يخطبُ هامةَ ابن خروفِ
متوقد الافكار يوشك في الدُّجى يبدو لهُ المستورُ كالمكشوفِ
فطنٌ تحنّك بالفصاحة وارتدى جلبابَ علمِ النحو والتصريفِ

الى ان ختمها بقولهِ وفي البيت الاخير تاريخ السنتين الهجرية والمسيحيّة (١٢٦٤ — ١٨٤٨) :

لا زال محفوفاً بحظٍ وافرٍ والحظُّ مثل الحظّ بالتصحيفِ
فيه صفا عبد الحميد مؤرخاً ناهيتُ نظمي في مديح نصيفِ

ولهُ مخمسًا لقصيدة الشيخ ناصيف المهملة فجعل تخميسهُ مهملًا كقصيدة الشيخ :

عدوّ المرء اولادٌ ومالُ لواسعهم اساودها صلالُ
أحاول طَوْلهم وهو المحالُ لاهل الدهر آمالٌ طوالُ
واطماعٌ ولو طال المطالُ

ومنها: مرور العمر مَرّ مَرّ كل حالٍ وامرُ الله دهّر كلّ حالٍ
سرورك والهموم دِلاه دالٍ كرورُ الدهر حوّل كلّ حالٍ
هو الدهرُ الدوام لهُ عحالُ

وكانت وفاة الشيخ عبد الحمد ابن الصبّاغ سنة ١٢٧١ (١٨٥٤) فرثاهُ الشيخ اليازجي بقصيدة جميلة استهلّها بقولهِ :

لا عين تثبت في الدنيا ولا اثرُ ما دام يطلع فيهِ الشمس والقمرُ

الى ان قال :

قد كنت انتظرُ البشرى برؤيتهِ فجاءني غير ما قد كنت انتظرُ
ان كان قد فات شهدُ الوصل منهُ فقد رضيت بالصبر لكن كيف اصطبرُ
أحبُّ شيء لعيني حين اذكرهُ دمعٌ واطيب شيء عندها السهرُ
هذا الصديق الذي كانت مودّتهُ كالكوثر العذب لا يتلالها كدرُ
لا غرو أنّ احزنَ الزوراء مصرعهُ فحزنهُ فوق ابن لهُ قدرُ

فاستحسن اهل بغداد هذه المرثية وقرّظها السيد شهاب الدين العلوي بابيات منها :

وافت فمرّت بتأساء وتعزية عليهما بَعْدَ الاحياء مَنْ قُبروا

وارّخها بقولهِ :

أسديتَ سلوة محزونٍ وأرّختهُ اسدى رثاء بهِ السلوان والعبرُ

(عبد الجليل البصري) هو السيد عبد الجليل بن ياسين البنتري ينتهي نسبهُ الى علي ابن ابي طالب ولد في البصرة سنة ١١٩٠ (١٧٧٦ م) ثمّ ارتحل منها الى الزبارة فسكنها حتى استولى عليها صاحب الدرعيّة ابن السعود فسار الى البحرين وسكن بها الى سنة ١٢٥٩ (١٨١٣ م) ثمّ استوطن الكويت وتوفي هناك سنة ١٢٧٠ (١٨٥٤م).
واشتهر عبد الجليل بالحلم والكرم وكان ذا ادبٍ وعلم كما يشهد عليهما ديوان

شعرهِ الذي طُبع سنة ١٣٠٠ (١٨٨٣م) في بمبي (ص ٢٨٠). واوّل نظمهِ ابيات قالها مؤرخاً مولد ابنهِ عبد الوهّاب سنة ١٢١١ (١٧٩٦)

حمدتُ الله إذ اسدى بفضلٍ ... وآلاء تسامتْ أن تُضاهى
كريمٌ مَنَّ فيمن فيهِ اضحتْ ... رياضُ القلب مخضرًّا رباها
وطاب العيشُ وانكشفتْ همومٌ ... كذاك النفس منتفياً مناها
فيا من قد مَننتَ بغير منٍّ ... بمن ساد الورى فخرًا وجاها
أدمني فيهِ مسرورًا دواماً ... وفيهِ العينُ قرَّ بما كراها
ووفّقهُ لما ترضى وجنّبْ ... هوى الاهواء واحفظ من غواها
وخيرُ الفالِ قد أرّختُ لابني ... بطلعتهِ بشير السعد باها

وقال عن لسان فقير من ابناء السبيل طلب منهُ ابياتاً يرتزق بها:

يا ماجدًا ساد عن فضلٍ وعن كرمٍ ... وهمّةٍ بلغتْ هامَ السماك مُلا
يا من اذا قصد الراجي مكارمهُ ... نال الاماني وبرًّا وافرًا عجلا
انّا قصدناك والآمالُ واثقة ... بانَّ جودك ينفي فقر من نزلا
جئنا ظماءً وحسنُ الظنّ اوردنا ... الى معاليكَ لا نبغي بها بَدَلا
لقد اضرَّ بنا جَور المُداة وما ... اودى بنا الدهر يا بؤس الذي فعلا
عسرٌ وغُربةُ دارٍ ثم مَسكنة ... وذلّةٌ وفراق قائلٌ وَبلا
نشكو الى الله هذا الحال ثم الى ... ندبٍ جوادٍ يفيد القاصدَ الأملا
عسى تصادف من حسناك مرحمةً ... تكون رفدًا لنا اذ نقطعُ السبلا
واغنم بذلك منّا خيرَ أدعيةٍ ... يزفُّها قلبُ عافٍ بات مبتهلا
لا زلت ترقى جميلاً كلَّ ذي املٍ ... في رفعةٍ ونعيمٍ دام متّصلا

وله يذمُّ الغيظ:

للغيظ آفاتٌ يضيقُ بها الفتى ... فاذا استطعتَ لهُ دفاعًا فاجهدِ
منها حجاب الذهن عن ادراكهِ ... امرًا تحاولهُ كأن لم يعهدِ
وبهِ يُرى الفَطِنُ اللبيبُ كأنهُ ... مما بهِ المعتوه او كالأبلهِ
وبه الحليم إلى الجهالة صائرٌ ... وبعدهُ عنهُ بهِ منارُ السؤددِ
وبهِ تسيء لدى الورى اخلاقهُ ... حتى يُقال لهُ لئيمُ المحتدِ
لا يرعوي لصحيح قول نصيحةٍ ... ويرى النُّصوح كعائبٍ ومفنّدِ
من حَبَّ طِبَّ بما تناولَ علمهُ ... واخو النباهة يقتدي بالمرشدِ

وقد سبق لنا حكم السيد عبد الجليل البصري لبطرس كرامة على الشيخ صالح التميمي وروينا ابياتاً من قصيدتهِ في مدح الشاعر النصرانيّ فراجعها

(الشيخ عبد الفتاح شوّاف زاده) اخذ العلوم الادبيّة عن الشهاب الالوسي حتى صار من اكل الادباء. صنّف تعليقات على كتب عديدة وقد كتب ترجمة شيخه الالوسيّ في جزئين كبيرين ودعاه حديقة الورود في ترجمة ابي الثناء شهاب الدين محمود وضمّنهُ دقائق ادبيّة ومسائل علميّة. توفي سنة ١٢٧٢ (١٨٥٥م). واشتهر بعدهُ اخوهُ الشيخ عبد السلام ووضع تصانيف عديدة منها كتاب في المواعظ وانتهى اليهِ علم الفقه والحديث. ولا نعرف سنة وفاتهِ

(السيّد عبد الفتاح السلفيّ) هو الشيخ محمّد امين الشهير بالواعظ. كان ذا خبرة تامّة بالمسائل الشرعيّة ونال من فنّ الادب باوفر نصيب. وكان ماهرًا في انشاء الصكوك ودرّس مدّة في المدرسة الخاقونيّة. وصنّف عدّة مصنّفات كمنهاج الابرار. ونظم التوضيح. وكان لهُ النظم اللطيف منهُ قولهُ في مدح السيّد محمود الالوسيّ مخمسًا:

يا سائلي عن بحر علم قد طما ... بلوى يروي العطاش من الظما
ان قلتَ صف لي من نداك توسّما ... انّ الشهاب ابا الثناء لقد سما
قدرًا على اقرانهِ من أوجهِ

سعد السعود ببابهِ متقاعدًا ... والمشتري برحابهِ متباعدًا
لا تنكرنْ لأنهِ يا جاحدًا ... ما زارني الّا حسبتُ عطاردًا
في الدار أمسى نازلًا من أوجهِ

وتوفي سنة ١٢٧٣ (١٨٥٦) فقال السيّد عبد الغفّار الاخرس فيهِ رثاء ختمهُ بهذا التاريخ:

بكى العلم والمعروف أرّخ كليهما ... بقبر ثوى فيهِ الامين محمّدُ

(السيد محمد سعيد) كان ابوهُ محمد امين الشهير بالمدرّس يعلم في بغداد العلوم اللسانيّة ووضع فيها بعض المصنّفات فلما توفي سنة ١٢٣٦ (١٨٢١) خلفهُ ابنهُ السيّد محمد وقلد عدّة مناصب كالنيابة والافتاء ثم اتصل وقتي مشغولًا بالتدريس الى سنة وفاتهِ ١٢٧٣ (١٨٥٧م) وتآليفهُ منها نحويّة ومنها شرعية. وصفهُ السيّد نعمان افندي الالوسيّ بقولهِ: «انهُ كان ذا تقوى وديانة وعفّة وصيانة لا يغتابُ احدًا ولا ينمُّ على احد ابدًا

وكان بشع الخطّ حديد المزاج كثير الوسواس عيّ الكلام ... وكان كثير الصدقات على اليتامى والارامل ». ولما مات رثاه السيد عبد الغفار الاخرس بقوله:

في رحمة الله حلّ شيخٌ وجنّةُ داره الخلودُ
تفيضُ من صدره علومٌ وقد طوى بحرُها المديدُ
ولم يزل ميّتاً وحيّاً من علمه الناسُ تستفيدُ
سار الى ربه غنيّ فانٍ بالعزّ وهو العزيزُ الحميدُ
ومذ توفاهُ قلتُ أرّخ مضى الى ربّه سعيدُ

(عبد الباقي العمري الفاروقيّ) هو اديب العراق عبد الباقي بن سليمان بن احمد العُمَريّ الفاروقيّ الموصلي ولد في الموصل سنة ١٢٠٤ (١٧٨٩ م) انتهت اليه رئاسة الشعر والادب في وطنه. تغذّى منذ صغره لبان العلم. وانتدبتهُ الحكومة السنية وهو ابن عشرين الى منصب كتخدا ووكيل الوالي فرانق قاسم باشا وعلي باشا الى بغداد وقام باعباء رتبته اتمّ قيام وكذلك سار بالعساكر الشاهينية الى قبياتي الزركت والشمرت في النجف فقصّ جناح الفتنة بينهما بحسن درايته وعاد الى بغداد مقرونًا باليمن والاسعاد ونال الحظوة من الدولة العليّة. ثمّ انقطع الى الكتابة والآداب فشاع نثرهُ الرائق وشعرهُ الفائق فألّف التآليف التي احرز بها قصب السبق في مضمار ادباء العراق وفاز بين فصحائهم بالقدح المعلّى. وكانت وفاتهُ سنة ١٢٧٨ (١٨٦١) قيل انهُ أرّخ نفسهُ في عام مماتهِ ببيتٍ كُتب على قبره:

بلسانٍ يوجَدُ انهُ أرّخَ ذاقَ كأسَ المنون عبد الباقي

امّا تآليفهُ فكلُّها ناطقة بفضله وتوقّد فهمه منها ديوان امّهّ الافكار في معاني الابتكار وكتاب نزهة الدهر في تراجم فضلاء العصر وكتاب الباقيات الصالحات وكتاب نزهة الدنيا اودعهُ تراجم بعض رجال الموصل في القرن الثاني عشر والثالث عشر. ولهُ ديوان شعر يسمّى بالترياق الفاروقي من منشآت الفاروقي طبع مرّة بمطبعة حسن احمد الطوخي سنة ١٢٨٧ بمصر في ٣٣٦ صفحة ثم اعاد طبعهُ الشيخ عثمان الموصلي بعد توسيع ابوابه وتكميلهِ سنة ١٣١٦ في ٤٥٦ صفحة. وها نحن نذكر بعض نتف من شعره تنويهًا بعلوّ مقامهِ في الآداب قال يؤرخ جلوس السلطان عبد العزيز واجاد:

لتلفيراف القصلُ اذ جاءنا يقول بُشراكم بلفظٍ وجيزْ

قد أحرزتْ ملّتكمْ ارّخوا مزًا بظلّ الله عبد العزيزْ (١٢٧٧)

وقال في التشبيه:

كأنّ ضوء البدر في دجلةَ حين يشرقُ
والموج في اثنائهِ منهُ الباب يحققُ
قراضةٌ من ذهبٍ طفا عليها الزبدُ

وقال في فتح الدولة العليّة لحصن سيواستپول مع الدولتين الفرنسويّة والانكليزيّة:

اقول للدُّول المنصورِ عسكرُها لا زال عسكرها بالله منصورا
لمّا انتفختم على صدق المحبّة في ما بينكم واتحدتم صرتمُ سورا
بسطوة دعتِ الاطوادَ راجفةً دُمرتمُ محصّنات الروس تدميرا
مدافعٌ غطّتِ الدنيا غمائمها فنادرت صبح يوم الحرب ديجورا
افواهها دلعتْ للنار ألسنةً فقرّرت درس ملك الروس تقريرا
رعدٌ وبرقٌ وغيمٌ من مدًى ولظًى ومن دخان اعاد الكونَ مسطورا
ومن فزاقا غيثٌ تراكمتْ يسحُّ منتظمًا طورًا ومنثورا
أقلامهم فرّ لمّا فرّ اكثرهم لكونهِ بات مقتولًا ومأسورا
والسيف غنّى على هاماتهم طربًا حتى حسبناهُ فوق النصن شحرورا
غادرتمُ البرَّ بحرًا يستفيضُ دمًا والبحرَ برًّا على الأشلاء معبورا
سيواستپولُ التي احيتْ معاقلُها سخّرتم حصنها أرّختُ تسخيرا

وله مشطرًا ابياتًا منسوبةً لابي نصر الحكيم الفارابي:

(كمّلْ حقيقتك التي لم تكملِ) وعن ارتكاب النقص كُن في معزلِ
وابغِ لنفسك ما ترقّيها به (والجسمَ دعْهُ في الحضيض الأسفلِ)
(اتكمّل الفاني وتترك باقيًا) تكميلُهُ أولى بحقّ الاكملِ
فهو الذي لا ينبغي لك تركهُ (هلّا وانتَ بأمرهِ لم تحفلِ)
(فالجسم للنفس النفيسة آلةٌ) تقضي المرام بها إذا لم تكملِ
وكم عليها من حقوقٍ للعلا (ما لم تحصّلها به لم تحصلِ)
(يفنى وتبقى دائمًا في غبطةٍ) ان فارقتْهُ ودولة لم تنقلِ
وسعادةٌ ابديةٌ لا تنقضي (او شقوةٌ وندامةٌ لا تنجلي)
(أعطيتَ جسمك خادمًا فخدمتهُ) وأحلتَ حكم عزيزِ لمذلّلِ
وجعلتَ من هو فوقهُ من دونهِ (أتسلكُ المفضولَ رقَّ الافضلِ)
(شركٌ كثيفٌ انتَ في حبلاتهِ) قيد الحياة اسير قيدٍ مثقلِ

منهُ وانت بهِ بأيّةِ حيلةٍ (ما دام يمكنك الخلاصُ فعجّلِ)
(من يستطيع بلوغَ اعلى منزلٍ) متدرّجًا فوق السماك الاعزلِ
ويرى الثريّا تحت أخمص رجلهِ (ما بالهُ يرضى بأدنى منزلِ)

ولعبد الباقي الفاروقيّ مع ادباء زمانهِ مراسلات لطيفة فمدحوهُ ومدحهم بقصائد لا تُحصى لا يسعنا ذكرها وكثيرٌ منها يتضمّن الطُّرَف المستطرفة. ونكتفي بذكر بعض ابيات قالها في تقريظ مقامات مجمع البحرين للشيخ ناصيف اليازجيّ اوّلها:

غُرَرٌ أمْ دُرَرٌ مكنونةٌ في عُباب البحر بين الصَّدَفَيْنْ

الى ان قال:

قد أتتني تتقاضى دَيْنَها فوفتْ للمجد عني كلّ دَيْنْ
بمراياها العقولُ ارتسمتْ فمحتْ عن عين طرفي كل غَبَنْ
وتجلّت صُور العلم بها فجلت عن كل قلبٍ كلّ رينْ
وعلى الاحسان والحسن معًا طُبعت والطبع مشنوفٌ بذَيْنْ
رحتُ من راحةِ معناها ومن روح مبناها عليفٌ النشأتَيْنْ
يا لسفرٍ اسفرتْ الفاظُها بين أُفقَيْه سفورَ النيّرَيْنْ
يا لهُ قاموس فضلٍ قد طوى مجمع البحرين بين الدفّتَيْنْ

وكان مدحهُ سنة ١٢٦٤ (١٨٤٨) بقصيدة بائيّة يقول فيها:

أبلى النوى جسدي النحيفُ كأنّني قلمٌ بدا بيدَيْ نصيف الكاتبِ
حبرٌ حلا في حبرهِ قرطاسُهُ كالبدر لمّا لاح فوقَ ترائبِ
فسطورهُ وطروسهُ في حسنها حاكت سماءً زُيّنت بكواكبِ

وختمها بقولهِ:

لو قمتُ طول الدهر انشد مدحهُ بين الانام قام أقم بالواجبِ
وبمدحهِ السُّريُّ آبَ موّرخًا ترتيب مدحي في نصيف الكاتبِ

فقال الشيخ نصيف يجيبهُ بقصيدةٍ من البحر والقافية:

احسنتَ في قولٍ وفعلٍ بارعًا وكلاهما للنفس اكبرُ جاذبِ
انتَ الذي نال الكمال موفّقًا من رازقٍ مَن شاء غير محاسبِ
فاذا نظمت فانتَ ابلغ شاعرٍ واذا نثرت فانت افصح خاطبِ
واذا نظرتَ فمن شهابٍ ثاقبٍ واذا فكرت فمن حسامٍ قاضبِ
هذه رسول لي اليك وليتني كنتُ الرسولَ لها بعرض نائبِ

هذا وقد اشرنا سابقاً الى قصيدته الحالية التي عارض بها خالية بطرس كرامة تجدها في ديوانه (ص ٢٤٢ — ٢٤٣ من الطبعة الجديدة) فدارت بينهما المراسلات بين الشاعرين. وقد هنّأه بطرس كرامة برتبته الكتخداوية بقصيدة مطوّلة يقول فيها:

الشاعر الفرد الذي اهدى لنا دُرَر البحور نُظِمْنَ في الاوراقِ
درٌّ بجيدك ام حباك قلائداً من شعره العُمَريُّ عبد الباقي
جمع الفصاحة بالبلاغة مثلما قرن الحجى بمحاسن الاخلاقِ

وممن خدموا الآداب بين العراقيين غير المذكورين بعض اهل الفضل ممّن لم نعلم من احوالهم الّا النزر القليل فنثبت هنا اسماءهم تتمّةً للفائدة فمنهم (الشيخ يحيى المروزيّ العمّادي) اصلهُ من العمّادية من قرى الاكراد قرب الموصل برزَ في التدريس وصار عليه المعوّل في مذهب الامام ادريس وكان احد مشايخ الشهاب الالوسيّ الذي اثنى على زهده وعلوّ نفسه وخصّهُ ببيتين قيلا في الشافعي:

عليٌّ ثياب لو يُباعُ جميعها بفلسٍ لكان الفلسُ منهنّ اكثرا
وفيهنّ نفسٌ لو تُباع بثلها نفوسُ الورى كانت اعزّ واكبرا

توفي الشيخ العمّادي سنة ١٢٥٠ (١٨٣٤). ومنهم (الشيخ احمد بن عليّ بن مشرف) كان اصلهُ من نجد فانتقل الى العراق وطار صيتهُ فيها ومات بعد السنة ١٢٥٠ وكان اعمى يحسن نظم الشعر فمن قولهِ في المدح ما انشد في آل مقرن:

وبها ذكرنا الحيَّ من آل مقرنٍ تهلّل وجه الفخر وابتسم الجِدُ.
هُمُ نصروا الاسلام بالبيض والقنا فهم للعدى حتفٌ وهم لهدى جندُ
غطارفة ما إن يُنال فخارهم ومعشر صدقٍ فيهم الحدُّ والجدُّ

ومنهم (عبد الغنيّ بن الجميل) هو عبد الغني افندي الشهير بابن جميل. ولد سنة ١١٩٤ (١٧٨٠) واتقن الفنون العربية واتّسع في سائر العلوم. ورحل مرارًا الى دمشق الشام وصاحب فضلاءها كالشيخ عبد الرحمان الكزبري والشيخ حامد العطّار حتى فوّض اليه رضا باشا افتاء الحنفيّة في بغداد ثم أُصيب ببعض الآفات والبلايا وتوفي ابن جميل سنة ١٢٧٩ (١٨٦٢) وله شعر طيب كلهُ في الحماسة فمن ذلك قولهُ:

أيذهب عمري هكذا بين معشر مجالسهم خافٌ الكرم طويلُها

وابقى وحيداً لا ارى ذا مودّةٍ من الناس لا عاش الزمانَ مثلُها
وكيف ارى بغداد للحرّ مترلاً اذا كان مغرىً الادمِ تربُها
فما مترل فيه الداء بمترلٍ وفي الارض للحرّ الكريم بديلُها

ومنهم (محمّد الاخفش) هو محمّد سعيد افندي البغداديّ الشهير بالاخفش. قرأ على العلّامة الالوسيّ وشرح الالفيّة في النحو للامام السيوطيّ. وكان محبًّا للاداب ولهُ شعر حسن اخذتهُ يدُ التلف وكان كثير المزاح واللطائف توفي سنة نيّف وثمانين بعد المائتين والالف (١٨٦٣). ومنهم الشيخ جمال الدين الكوّاز كان اصلهُ من الحلّة ويرتزق بحرفة الكوازة الّا انهُ كان مشغوفًا بالآداب خفيف الروح حسن المحاضرة. ولهُ شعر كلهُ في الغزليّات وقيل انهُ نظم الشعر قبل البلوغ. توفي في الحلّة سنة ١٢٧٩ (١٨٦٢). ومنهم (الشيخ عيسى البنديجيّ) هو ابو الهدى عيسى افندي صفاء الدين البنديجي اصلهُ من بنديج على حدود بلاد العجم فسكن بغداد ودرس العلوم اللسانية والفقهيّة والاديبّة حتى اشتهر فيها وكان ذا تقوى وصلاح ودرّس زمنًا في مدرسة داود باشا وجُعل رئيس المدرّسين. ومن تآليفهِ كتاب تراجم مُن دُفن في بغداد وضواحيها توفي سنة ١٢٨٣ (١٨٦٧) (لها بقية)

المفريان

باسيليوس اسحق جُبَير الموصليّ

لحضرة الفاضل القس اسحق ارملة السريانيّ الكاثوليكيّ

من مشاهير طائفتنا السريانيّة الكاثوليكية في القرن السابع عشر مطران موصلي يُعرف باسحق جُبَير كان مع البطريركين الجليلين اندراوس اخيجيان واغناطيوس بطرس من اكبر السعاة في ردّ اليعاقبة الى الوحدة الكاثوليكية

وُلد المفريان باسيليوس اسحق ابن الشماس عبد الحيّ جُبير في مدينة الموصل عام